كان د.عبد الحليم عويس من الأعلام في عالمي العلم والأخلاق،
وقد استطاع بفكره وجهده ويقينه أن يجعل من نفسه مدرسة فكرية وعملية ودعوية متكاملة المقومات والميادين والأهداف والأدوات والآثار.
ويهدف هذا البحث إلى تحديد معالم مشروعه الفكري والحضاري والدعوي،
وقد اعتمدت في تحديد هذه المعالم على ما كتبه الرجل لا على ما كتب عنه،
حذرا من الوقوع في أسر الرؤية الذاتية للآخرين، أو التردي في أودية التكرار المملول.

Dr. Abdul Halim Eweis was an important figure in the realms of knowledge and ethics. He could, through his thoughts and efforts, make himself a well-accomplished practical school of thought, well established by its purposes, outfits and efforts. This paper aims to identify the borders of his intellectual, cultural, and missionary project. To identify these borders I depended on what was written about him, in order not to fall in the subjective vision when dealing with other's lives, or slip into vales of monotonous repetition.

مدخل :

شاءت إرادة الله أن يحفل كل عصر بنفر من هؤلاء الأعلام الذين يمثلون وجوه الخير في دنيا الناس ، وقد شقّوا لأنفسهم في الجانب المعرفي طريقًا واضحًا يعرف بهم ويعرفون به ، ويحلقون به في سماء الفكر الثاقب والفهم المستنير، وتحلَّوا في الجانب العلمي بقوة اليقين والحركة الواعية التي لا تغفل عن مرجعيتها الصافية ، ولا تغيب عن معايشة الواقع بكل ملابساته وتداعياته، حتى إذا ما حال الأجل دون استمرارهم في أداء الرسالة رحلوا عن عالمنا وقد تركوا أثراً مدويًّا يرى فيه المتأمل أنه إذا كان العلم يُرفع بموت العلماء فإن آثارهم تبقى ضوءاً ساطعاً ينير الطريق لمن يخلفهم فى المسير.

ولست مغالياً حين أذهب إلى أن الدكتور عبد الحليم عويس كان من هؤلاء الأعلام في عالميْ العِلم والأخلاق، وأنه استطاع بفكره وجهده ويقينه أن يجعل من نفسه مدرسة فكرية وعملية ودعوية متكاملة المقومات والميادين والأهداف والأدوات والآثار . وحتى لا يضل بنا السبيل في التدليل على صدق ما ذهبنا إليه فإننا – رعاية لمنهجية القول وحق القراء علينا – نحدد القول فى النقاط الآتية :

أ- مقومات المدرسة :

تستند مدرسة الدكتور عبد الحليم عويس في مقوماتها على دعائم : وضع المناهج وتحديد الأهداف ، والفكر المنهجي العميق ، والتوازن بين العقل والوجدان ، وهي مقومات تكشف عن جانب من جوانب القيمة في هذه المدرسة وأثرها في الآخرين .

١- ففي جانب وضع المناهج وتحديد الأهداف نرى فيه ذلك الرجل الذي يدرك قيمة تحديد الهدف ووضع الخطط والمناهج التي تحققه ، ويطالعنا في ذلك هذه الكلمات التي افتتح بها عبد الحليم عويس الطالب بمعهد المحلة الديني باكورة نتاجه «في سبيل الإسلام: قصص إسلامية» الذي صدر عن مطابع دار الكتاب العربي بمصر في شهر رجب ١٣٨١هـ / ديسمبر ١٩٦١م ، إذ يقول في إهداء هذه المجموعة القصصية :

((– إلى جيش الله المؤمن بمبادئه ومُثله ، الرابض هناك على الحدود بين عالم المثُل والخُلُق وعالم اللا مُثل ولا خُلق.

– إلى الجمعيات الإسلامية المكافحة قدر ما تستطيع وما لا تستطيع.

– إليك يا أخي المسلم أهدي كتابي الأول علّه يصيب قلباً مظلماً فينير له طريق النجاح، أو يصيب قلبك فيزيده إيماناً وثباتاً)) .

وقد آثرت بدء حديثي عن هذا العنصر بهذا الإهداء لمجموعته القصصية لأنه يحمل في منطوقه ومفهومه كلمات كاشفة عن فكر عبد الحليم عويس واتجاهه الإسلامي منذ البداية ، وتعرفه على طريقه في الذود عن المثل والتحلي بالخُلق الرفيع ، وجهاده بالكلمة المؤمنة الصادقة من أجل إنارة الطريق للتائهين وثبات اليقين في قلوب المؤمنين .

ولا أريد أن أقف طويلاً أمام دلالات كلماته التي جعل فيها ربض جيش الله وإقامة كتيبته المؤمنة بين عالم المثل والخلق وعالم

اللامثل واللاخلق ، وتوجهه إلى الجمعيات الدينية – لا الجماعات الحركية – المكافحة التي لا تألوا جهداً في سبيل نصرة الحق وحماية الفضيلة ، وتطلعه إلى الإخوة في الإسلام سواء منهم من حاد عن الطريق أو من يمشي على صراط مستقيم ؛ فكلاهما يحتاج إلى عون الاهتداء أو إلى تثبيت الأقدام على الطريق .

والذي نود الإشارة إليه أن عبد الحليم عويس في هذا العمل الأدبي استطاع أن يصور بقلم الأديب وفكر الباحث عن الحقيقة ومعايشة المؤمن الصادق الكلمة لموضوعه – استطاع أن يحلل الشخصيات الإسلامية التي كتب عنها في عمله الأدبي ، ويكشف عن نواحي العظمة في أصحابها ، ويحملنا معه على العيش في ظلال هذه الشخصيات حتى كأننا نراها بعيوننا ونتفاعل معها إحساساً وفكراً ؛ إعجاباً بمواقفها وتقديراً لدورها في ميدان الجهاد بالقول والفعل من أجل نصرة الحق وإعلاء كلمة الله .

وقد بدا ذلك في أحمد بن حنبل وعزيمته التي لا تلين في فتنة خَلْق القرآن ، وصمود فارس غرناطة محمد بن يوسف (ابن الأحمر) في معركته مع فرديناند ملك قشتالة ، ودور الفقيه القائد أسد بن الفرات في فتح صقلية ، وصدق سعيد بن المسيب في مواقفه في الحياة، وبطولة يوسف بن تاشفين في إقامة دولته في المغرب ونصرة المسلمين في الأندلس ، وصراع زيد بن علي في سبيل الحق مع هشام بن عبد الملك ، ونهاية البطل محمد بن القاسم الثقفي على أيدي خصومه بعد فتحه بلاد السند، وجهود الغواص المجاهد عيسى الغواص في نقل الرسائل بين المسلمين المحاصرين في عكا وصلاح الدين الأيوبي ، وبطولة سعد بن أبي وقاص في إسلامه وانتصاره على الفرس في معركة القادسية(١).

وقد كان هذا العمل القصصي – بما هو عليه مبنىً ومعنىً – قميناً أن يجعل عبد الحليم عويس يشق طريقه في عالم الإبداع الأدبي الممتد الفسيح في رسوخ وقوة بيان ، لكن الرجل يتخذ الفنّ سبيلًا لتحقيق أهدافه ونشر ما يدين به في الحياة . وإذا انتقلنا معه إلى المرحلة التالية في حياته نراه أكثر تحديداً لأهدافه وأمسَّ رحماً بمناهجه التي جعلها سبيلاً لنشر ما يهفو إليه ، فقد ذهب إلى كلية دار العلوم وللأدب قوة جاذبة تشده إلى فنّ الشعر الذي شدا في ظلاله قصيدته عن حبيبته التي ظل يذكر أبياتاً منها حتى الممات ، وللنشاط الديني بريقه الذي يأخذه إلى مجلة الاعتصام برئاسة مصطفى عاشور القريب من نفسه ، ولعِلْم التاريخ سِحره الذي أمدّه بمظاهر العظمة في الحضارة الإسلامية ، ودقائق الأسرار المتعلقة بالأحداث والأشخاص ، ونفائس الدروس التي تعين المؤمن المجاهد على أداء رسالته في الحياة .

---

(١) أعاد الدكتور عبد الحليم عويس نشر هذه القصص مع غيرها من القصص التي كتبت في هذا الإطار تحت عنوان: قصص من روائع حضارتنا، دار الكلمة للنشر والتوزيع ٢٠١٠م.

بيد أن عبد الحليم عويس الذي يعرف طريقه أبى أن تكون حياته وقفاً على الأدب وإن تحلَّى بالأسلوب الأدبي في كتابته ، أو شيخاً محصوراً في ميدان دعوي محدد وإن صال وجال بفكره وقلمه في هذا الميدان ، ورغب في أن يكون عالماً بالتاريخ والحضارة الإسلامية بكل صورها وقيمها ، فذلك أدنى إلى ذاته وأوفق في أداء رسالته في الحياة .

٢- وفي جانب الفكر المنهجي العميق فقد كان الدكتور عبد الحليم عويس من أنصار مدرسة التحليل التاريخي المتكامل ، فلم يقف عند سرد الحوادث وقصّ الأخبار ، والإلمام المعرفيّ بمواقف التاريخ ، والتحرك بالعلم في كل أحواله وجميع أوقاته وشتى كتاباته وكأنه صار متْناً للعلوم يتوجه به في حركاته وسكناته ، بل كان من هؤلاء الفاقهين الذين يتحرك العلم بهم بما يقدمون من تحليل ، ويتأملون من دقائق ، ويكشفون من أسرار ، ويستنبطون من دروس في وعي بشتى ظواهر الحياة ، منتمياً في ذلك – فيما يرى الدكتور محمود خليل – إلى مدرسة الدكتور حسين مؤنس ((وهي مدرسة الدرس التاريخي الكامل، انطلاقاً من الجغرافيا وانتهاء بالأنثروبولوجي، وهو علم الإنسان . وهي المدرسة الفاقهة عن وعي كامل بالظاهرة التاريخية في سياقها الشامل . وسياقها المتواصل . ولحاقها الكامل الذي يرد الجزئيات إلى الكليات ،والفروع إلى الأصول . ويستخلص من ذلك الدرس التاريخي المفسر والمحلل لأحداثه المتداخلة ، وتياراته المتصارعة ، ونوازله الغامضة))[١] .

وبهذا فنحن أمام مدرسة فكرية منهجية تحلل وتستنبط ، وتبحث في الأسباب والنتائج، وتعي حركة التاريخ مدًّا وجزراً ، وتتأمل العوامل الداخلة في صناعته : زماناً ومكاناً ، ومواقف وأشخاصاً ، وظاهراً وباطناً ، دون أن تقنع برواية التاريخ وسرد وقائعه في بيان غير متأمل وعرض يكتفي بالمتعة دون الفائدة.

وأذكر أنه ذات يوم كان يتحدث مع أحد أصدقائه عن العصر العباسي[٢]، وذهب هذا الصديق إلى أن المأمون كان شيعيًّا تبعاً لما ذكره المسعودي في مروج الذهب ، وما عُرف من أنّ أمَّه كانت فارسية ، وما شُهر من اتخاذه خراسان عاصمة مُلكه ، فتطلع إليه الدكتور وقال له : كيف يكون شيعيا وهو يعتنق مذهب المعتزلة ويتعصب لهم مع ما وقفنا عليه عمَّا بين الشيعة والمعتزلة على النحو الذي جاء في قول أحدهم : كلفتني ما بين الشيعة والمعتزلة ؟ أي كلفتني بأمر شديد شدّة ما بين الشيعة والمعتزلة من عداء يبهظني حمله ولا أقوى على القيام به ، والمعتزلة أصحاب منهج عقلي منظم والشيعة أصحاب منزع وجداني خاص، والاعتزال مذهب فكري محدد والتشيع حركة فعلية موجهة . ومع أن التاريخ الإسلامي حفل بعديد من الشخصيات

(١) مجلة التبيان . الجمعية الشرعية الرئيسية، السنة الثامنة . العدد ٩١ صفر ١٤٣٣هـ/ يناير ٢٠١٢م.

(٢) الأديب الباحث عبد الجواد الحمزاوي .

التي تجمع بين الاعتزال والتشيع لكنه فتح بذلك آفاقاً متعددة من التفسير والتحليل والتأويل ، وحمل على البحث في العلل والأسباب : فلعل ذلك كان سمت مرحلة غير ممتدة في حياته ، أو أنه جاء نتيجة توهم من أثر ما ذكر وما عرف وما شهر ، أو أنه أتى تفسيراً لبعض مواقفه مع العرب والفُرس . وفي كل فإن موقف دارس التاريخ في دراسته هو أن يجعل الأخبار الواردة في بطون الكتب موطن تأمل ومناط تدقيق .

٣- وفي جانب التوازن والتكامل بين العِلم والعقل والوحي والوجدان كان هذا التوازن مقوّماً أساسيًّا من مقوّمات مدرسة الدكتور عبد الحليم عويس ، وقد بدا ذلك فيما تبناه من مواقف ، ودعا إليه في كتاباته ، وتعهده بالكتابة عن أعلام الفكر الإسلامي الذين يتحلَّون بهذا التوازن . ففي موقفه من العلاقة بين الوحي والعقل تبرز لدينا عدة حقائق :

أولها : أنه ((يجب الانطلاق من مقولتين نراهما صحيحتين كل الصحة .. المقولة الأولى : إنه ليس بالدِّين وحده يحيا الناس ، والمقولة الثانية : إنه ليس بالعقل وحده يحيا الناس . فالدِّين لن يعمل وحده في الحياة عمله إلا بواسطة أصحاب عقول .. والعقل لا يستطيع وحده أن يبني حياه إنسانية دون معالم الدِّين ، ودون هدي الوحي وغذاء الروح والضمير والمنظومة الأخلاقية ، وغير ذلك مما ينبع من الدِّين ولا يستطيع غير الدين أن يقدمه))[١] .

وثانيها : أنه «لو كان الدين وحده يستقيم بدون العقل لكَلَّف الذين لا عقول لهم ، ولكن كل الأديان تربط التكاليف الدينية بالعقل ، وتُعفي منها الذين لا عقول لهم ، صغاراً كانوا أو سفهاء !! وكذلك لو كان العقل قادراً على فك ألغاز الوجود وقيادة خطوات الإنسان من غير الخدمات العظيمة التي يقدمها له الدين ، ومن غير الحراسة التي يحميه بها الدين لما كانت هناك حاجة بأن يرسل الله الرسل إلى الأرض ، وأن ينزل عليهم الكتب التي تحمي العقل من نفسه وتُعبِّد له الطريق وتمهده ، وتضع له شارات الحق والباطل ، والخير والشر ، والصعود والهبوط ، والسعادة والشقاء»[٢] .

وثالثها : أنه «منذ خلق الله آدم والدين والعلم يتعانقان ويتكاملان ، ويساعد أحدهما الآخر .. وكما كان نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ (الأب الثاني للبشرية) نبيًّا كان صانع أشهر سفينة في التاريخ . وكما كان داود نبيًّا كان أول من صنع من الحديد أقمصة ودروعاً ، وكان ابنه النبيّ سليمان – عليهما السلام – أول من سُخرت له الرياح تحمله وتحمل جيوشه ، وسُخرت له الشياطين تغوص في أعماق البحار ، وجاء الرسول محمد ﷺ وأنزل الله عليه كتاباً ، جاءت أول كلمة فيه ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ

---

(١) الوحي والعقل والعدل في ميزان الإسلام . دار الكلمة للنشر والتوزيع ص٨٥.

(٢) السابق . ذات الصفحة .

رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾»[1].

وفي دعوته إلى الوقوف على حقيقة رسالة الإسلام يرى ((أن الإسلام رسالة أرسلها الله للإنسان لكى تخاطب كل كيانه وتتفاعل مع كل طاقاته .. وليس من منهج الإسلام أن (يضغط) فقه المسلم للإسلام في دائرة (العقل) .. أو أن يحاصره في دائرة (الوجدان) ، أو أن يهتم بتعليمات (الجسم) ويهمل بقية التعليمات .. كما أن الإسلام ليس موجهاً (للرجل) وحده ، بل هو موجه – في سياق واحد – للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات .. فهو للرجل والمرأة معاً .. وهو للفرد والمجتمع معاً .. وهو – بالتالي – للروح والوجدان والعقل والجسم معاً .. في سياق واحد ، ودون أي انفصام أو تجزئة!!.

ومن هنا – وحرصًا على تكاملية الإسلام – يجب أن يقدم الإسلام للناس بصورة شاملة تتجاوز الأخطاء المرحلية ، والضغوط المذهبية ، والاتجاهات الذاتية ، بعيداً عن التركيز العقلي الذي يجعل الإسلام مجرد (نظرية فلسفية)، وبعيداً عن التركيز الفقهي الذي يجعل الإسلام مجرد قانون من القوانين ، وبعيداً عن التركيز الوجداني الذي يجعل الإسلام طريقة (صوفية) ، أو (تجربة روحية شخصية) سرعان ما تحفل بالبدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان .. إلى غير ذلك من التركيزات والإسقاطات التي تَفْرض على (الحقيقة الإسلامية) ظلالاً خارجية .. لا تمتّ إلى (صبغة الله) المتوازنة بنسب ولا صلة))[2] .

وفي الكتابة عن أعلام الفكر الإسلامي يذهب إلى أن الشيخ فتح الله كولن – فيما يعرفه ويؤمن بمنهجه– «إمام من أئمة النهضة الإسلامية، تقوم دعوته على تربية الروح والعقل والقلب والفرد والمجتمع والأسرة والنواحي العقلية والعلمية والتكنولوجية بخاصة» ، فهو ليس مجرد صوفي في زمن العولمة (كما ذهب إليه أحد الدراسين) ، ومن ثَمّ فدعوته «أقرب إلى المفهوم العاطفي والوجداني والروحي مع إعطائها للجوانب العقلية والمادية نصيبها .. وهذا عكس المفهوم الصوفي الذي يعطي الجوانب الروحية والوجدانية نصيباً أكبر من الجوانب الأخرى»، ومن ثَمّ كان نجاح الشيخ في دعوته وانتقالها من جماعة إلى جماعة ، ومن بلد إلى بلد دون أن يربط هؤلاء وأولئك رباط حركي أو حزبي أو مذهبي[3].

وفي كتابه عن سعيد النورسي يذكر لنا عدة حقائق عن عالمية الأدب وشمولية الرؤية الإسلامية في فكره ، منها : «أنه لم يفصل في فكره – انطلاقاً من فقهه للطبيعة القرآنية –

---

(١) السابق ص٨٨ .

(٢) الإسلام كما أومن به . دار الصحوة للنشر. ص٩ .

(٣)ينظر : فتح الله كولن إمام النهضة الإسلامية في تركيا المعاصرة . مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ص١٠– ١٢ .

بين ما هو ديني وما هو دنيوي ، وبين ما هو متصل بالعقيدة (التوحيد ومقتضياته الكونية والعبادية) وما هو متصل بالشريعة ، وما هو وجدان متصل بالقلب والأدب والفنّ ، وما هو أخلاق وفطرة للإنسان والكون والحياة يلتقى مع كل ذلك ويتداخل معه» .

ومنها : «أن الأدب – انطلاقاً من المنهجية القرآنية التي انطلق منها النورسي – يجب أن يكون كالعلم في انضباطه بالحق وفي توظيفه توظيفاً يتكامل مع العقل أو مع العلم في خدمة الدين والحق والحياة الإنسانية الكريمة اللائقة بإنسانية الإنسان . ولئن كان العِلم والعقل يخاطبان جانباً ضروريًّا ومهمًّا في كيان الإنسان ، فإن الأدب والوجدانيات يخاطبان كذلك الجانب الآخر المهم للحقيقة الإنسانية».

ومنها : أنه إذا «كانت الرؤية الحضارية اللائقة بالإنسان الضامنة لسلامة مستقبله الحضاري تقتضي التكامل بين لغتي العلم والأدب ، وبين قضاياهما وآلياتهما في الحدود المقبولة منهجيًّا ، وأهدافهما الوظيفية الإنسانية والكونية والإلهية ... فإن المعرفة الحقة الصحيحة الكفيلة بتحقيق سعادة جنس الإنسان لن تتحقق – كذلك – إلا من خلال الترابط والتكامل بين المعرفة الكونية ، الشاملة للوعي بالنواميس والعلوم الطبيعية وتسخيرها ، والمعرفة الإنسانية المعبرة عن مفردات الكينونة الإنسانية ، وكل ما يتعلق بها باطناً وظاهراً ، والمعرفة الإلهية التي تربط بين وجود الله وتوحيده وربوبيته وتجليات أسمائه الحسنى في خلقه وفي كونه»[١] .

ب- ميادين الدراسة :

ولهذه المدرسة ميادينها الدراسية التي تدور في فلكها وتسعى إلى إثراء الفكر والوجدان بما يأتي فيها من بحوث وأعمال ، وهي تلتقي إلى حدّ كبير مع اهتمامات الرجل وتكوينه العلمي والفكري ، ومن ثَمّ تتحدد لدنيا ميادين هذه الدراسة في : التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، وتقويم الحركة الإسلامية وبناء شخصية الشاب المسلم ، والدعوة الإسلامية في أفقها المتنوع الفسيح .

ومن الجدير بالذكر أن ننبه إلى أن الدراسة في هذه الميادين يقوم الأمر فيها على جانب نظري عِلْمي يتمثل فيما قدمه خلالها من كتب ودراسات ، وآخر عَملي تطبيقي تمثل في حركته الدءوبة وجهده المتواصل وتنقله الدائم في البلاد والمنتديات والمؤسسات لتحقيق ما يهدف إليه في هذه الميادين . ونحن هنا نكتفي بالحديث عن الجانب النظري العِلمي – تاركين ما يتعلق بالجهود العملية- إلى ما يلي من نقاط.

ومن ثَمّ تأتي وقفتنا في هذا المقام مع مؤلفاته الدراسية وأعماله العلمية في هذه الميادين ؛ نتأمل خصائصها التي جعلته مميزاً

---

(١)رجل القرآن وصناعة الإنسان . دار النيل للطباعة والنشر ص١٤٧ ، ١٤٨. وينظر: نظرية المعرفة عند النورسي . أديب إبراهيم الدباغ . ضمن أعمال المؤتمر العالمي الثالث حول تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين ، تركيا ١٩٩٦م ص٧٥.

بين أقرانه وسماتها الدالة على أبعاد شخصيته، ونتعرف على ما تحمله من أقباس عقله وأنفاس روحه ونفحات إيمانه وقوة عزيمته ، ونتبين طبيعة الأثر الذي تركه في هذه الميادين .

١- ففي ميدان التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية نراه يلم بمقومات هذا التاريخ وظواهر هذه الحضارة في يقظة بالغة واستيعاب كبير للعلل والأسباب المؤثرة في وجودهما ، ووعي كبير بأصولهما ومرجعياتهما ، ودراسة متأنية للأحداث والأشخاص ودورهما في حركتهما الفاعلة واتجاههما الرشيد .

نلمح ذلك في جمعه ما تفرق في المراجع القديمة عن أخبار دولة بني حمّاد في بلاد المغرب العربي ، وأقام منه عملاً علميًّا متكاملاً يدرس الدولة الحمادية دراسة تاريخية وحضارية على نحو متكامل ، ويقدم لنا صفحة مشرقة من صفحات التاريخ الإسلامي في الجزائر وأثره في الحضارة الإنسانية ، ويقفنا على حركة التاريخ وأثر العوامل الداخلية والخارجية في تحديد مصائر الدول والإمارات وتوجيه مسار الحضارات[١] . وفي تقديمه ابن حزم الفقيه الظاهري مؤرِّخاً ذا باع طويل في الدراسات التاريخية ، ومسهماً بدور كبير في إثراء الحضارة الإسلامية ؛ بما كتبه في أنساب العرب ، وما عالجه من تأريخ للعلوم والآداب ، وما قدمه في مؤلفاته التاريخية من تحليل وتأصيل ، وما وضعه من منهج في دراسة التاريخ يقوم على الاهتمام بالعقل بعد النقل ، والالتزام بأصول النقد التاريخي ، والاحتفاء بالإحصاءات والغرائب ، والوصول بالبحث التاريخي إلى درجة القطع في الأحكام[٢] .

وفي هذا الميدان نرى الدكتور عبد الحليم عويس دعوبًا في تأصيل مظاهر الحضارة الإسلامية وردّها إلى قيم الإسلام ومبادئه التي قادت العالَم نحو حضارة لا تَذْهل عن الأخذ بأسباب الحياة مع الاهتمام بتلبية أشواق النفس وتزكية الإحساس الجمالي والروحي بدور المادة والروح في حياة الإنسان ، ولم يقف هذا التأصيل عند حدّ التدليل على مصادره التاريخية وشواهده العلمية على النحو الذي وجدناه في كتبه : «الحضارة الإسلامية : ثوابتها وفضلها على الحضارة الإنسانية» ، و «دراسات في تاريخ الحياة الإسلامية : رؤية حضارية» ، و «صفحات من جهود المسلمين في الحضارة الهندية» ، وإنما تخطى ذلك إلى الدفاع عن الأعلام الذين أسسوا علوم هذه الحضارة .

وفي هذا الإطار أتى كتابه «التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون» الذي نراه فيه قوى العُدة منهجى الخُطى . فقد قسم هؤلاء المغرضين الذين حاولوا إخراج ابن خلدون

(١)في كتابه : دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري .

(٢)في كتابه : ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري .

من إطاره المرجعي ومناخه الثقافي ، وجحد دوره في حركة الفكر الإسلامي إلى فئتين : فئة المبتعثين الذين انسحقوا تحت وطأة الانبهار والتبعية للحضارة الغربية ، وحاولوا بتأثير أساتذتهم الأوربيين تجريد ابن خلدون من ريادته . مثل طه حسين في رسالته «فلسفة ابن خلدون الاجتماعية» ، وعلي أومليل في رسالته «الخطاب التاريخي : دراسة لمنهجية ابن خلدون» ، وفئة المنهزمين الذين وقعوا تحت ظروف ضاغطة ، وعجزوا عن الصمود فحاولوا توجيه فكر ابن خلدون ماديًّا أو علمانيًّا أو ثوريًّا ضد التراث، وساعدهم في ذلك مؤسسات التغريب التي تقدمهم على أنهم من الممثلين للفكر الإسلامي .

ويخلص الدكتور عبد الحليم عويس من حواره الفكري الجادّ ، ونقاشه العلمي الهادف مع هؤلاء وهؤلاء إلى أن ابن خلدون نبتة حضارته وليس ثمرة عصره فقط ، ويبين أن طرائق الكتابة في التاريخ بعد ابن خلدون تختلف عنها قبل وجوده بما يجعله مفرق طريق بين مرحلتين في البحث التاريخي ، ويكشف عن الأصول الإسلامية لنظريات ابن خلدون في التاريخ والحضارة وعلم الاجتماع ، ويدلل على أن ابن خلدون رائد التفسير العلمي للتاريخ ، ويحلل منهجية ابن خلدون في هذا العلم التي تقوم على : الشمولية العالمية في النظرة إلى التاريخ ، والاهتمام بالعِلّية في تفسير التاريخ ، وظهور الجانب الفكري في هذا التفسير ، وتقديم التاريخ في صورة حية متحركة بعيداً عن السكونية الجامدة .

وفي هذا المنحى والاتجاه جاءت كتبه القيمة : «أسطورة إحراق طارق بن زياد للسفن» ، و«تفسير التاريخ علم إسلامي» ، و«المدخل إلى الحضارة الإسلامية» ، و«تيارات حضارية في التاريخ الإسلامي» ، و«في ظلال الرسول ﷺ» .

ولا يفوتنا في هذا الميدان أن نذكر دعوته الحكيمة إلى دراسة أسباب سقوط الدول والحضارات في التاريخ الإسلامي ، ووضعها في إطار مقرر دراسي من مقررات علم التاريخ[١] ، وذلك إدراكاً منه لقيمة الوقوف على أسباب هذا السقوط ، وأهمية استنباط الحقائق المتعلقة بحركة التاريخ وسنن الحياة ، والتنبه إلى أن التعرف على عوامل الاندحار يسهم في إثبات الوجود وتحقيق الازدهار وتحصين الدول من الوقوع في مهاوي الضياع.

وفي ظلال هذه الدعوة جاءت دراساته الجادّة التي تحمل رؤيته الثاقبة فيما ذهب إليه من تحليل وتدقيق واستنتاج : «بنو أمية بين السقوط والانتحار»[٢] ، «العصبية القومية وأثرها في سقوط الأندلس» ، «التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس» ، «أربعون سبباً في سقوط الأندلس»[٣] ، «دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية» .

---

(١)ينظر: أربعون سببًا في سقوط الأندلس ص٦

(٢)نشر دار الصحوة للنشر ١٩٨٧م .

(٣)هذه الكتب الثلاثة نشرتها دار الصحوة للنشر ١٩٩٤م .

ونحن نرى أن مؤلفات الدكتور عبد الحليم عويس تتناغم في هذه الجوانب وتتكامل فيما بينها لتخدم مشروعه الفكري والحضاري ، والنهوض بالدعوة الإسلامية وإعادة الريادة لأمة الإسلام في عالمنا المعاصر ، وأن وقوفه أمام الجوانب السلبية في حياة المسلمين والتعرف على عوامل الانهيار والسقوط في العالم الإسلامي إنما جاء من أجل الإفادة منها وعدم الوقوع فيها ، ومن هنا جاءت كتبه في بيان حقيقة الإسلام وعالميته وتفرده عن غيره من سائر الأديان في تكامل المنهج وحفظ دستوره من التحريف وقدرته على ريادة العالم في شتى جوانب الحياة ، وإذا كان المقام لا يسعفنا في التعريف بتلك المؤلفات فإن تنوع اهتماماتها ودلالة عناوينها تتآزر مع ما ذكر في الإبانة عما قام به من جهد علمي في هذا الميدان ، ويدفعنا إلى القول بأن التأليف العلمي كان أحد الميادين المهمة التي لا يمكن لدارس أن يغفلها وهو بصدد الحديث عن تعدد ميادين المدرسة وإعطاء صورة واضحة المعالم عن دوره في الترسيخ لقواعد هذه المدرسة بين غيرها من المدراس الفكرية المعاصرة .

٢- وفي ميدان تقويم الحركة الإسلامية في العالم الإسلامي وبناء شخصية الشاب المسلم وتكوينه الفكري والوجداني نراه يذهب إلى تتبع هذه الحركات المؤثرة في الواقع الإسلامي وتحليل الروافد المؤثرة في طبيعتها ، ويتخذ من ذلك سبيلاً للخروج بالشاب المسلم من التيه في منعرجات هذا الواقع الذي يضطرم بالسلفية بجناحيها : المتشدد والراشد ، والصوفية في نوعيها : الملتزم بالكتاب والسنَّة والمنخرط في البدع والخرافات، والجماعات الإسلامية بشقيها : الدعوي الاجتماعي والسياسي المتحزب ، والصحوة الإسلامية بوجهيها : المتطلع إلى أثر السلطان في إقامة المنهج الذي زاحم أثر القرآن في نفوس أبناء العصر ، والساعي إلى إقامة ثوابت الدعوة الإسلامية على نهج فكري سديد .

ومن هذا المنطلق وجدناه يعمد إلى دراسة الواقع الإسلامي وتحليل العوامل المؤثرة في طبيعته من خلال تحليل نظري للأسباب والنتائج التي ينطق بها حال هذا الواقع ، وذلك في كتبه : «أثر التغريب وخيانة التاريخ على مستقبل الأمة الحضاري» ، و«الأزمة الحضارية الراهنة ودرس الأندلس» ، و«فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية» ، و«الغارة المعاصرة على المسلمين : منطلقاتها وغاياتها» . ثم من خلال دراسة عملية لتلك النماذج الجادّة التي آلت على نفسها أن تنهض بالحركة الإسلامية وتخلص الأمة من واقعها المرير ، والتعرف على طبيعة رؤيتها الإسلامية ومكوناتها الفكرية ودورها في الإصلاح والتمكين للحضارة الإسلامية وبزوغ نجمها من جديد بين الأمم .

وفي هذا الإطار جاءت وقفته أمام ركائز دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودورها في تصحيح العقيدة الإسلامية في فكر المسلمين ، وتطهيرها من مظاهر الشرك التي علقت بها في عصور التمزق السياسي والفوضى الاقتصادية والهبوط الاجتماعي ، وأثرها في

جزيرة العرب وامتداده إلى الفكر الإسلامي الإصلاحي بالجزائر ممثلاً في فكر الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ عبد الحميد بن باديس[١] . ثم وقفته أمام نموذج أبي الحسن النَّدْوي الذي تقوم دعوته على أن الإسلام هو الوسيلة والغاية ، وأن يتخلص المسلمون من الشعارات والأحزاب التي تدفعهم لمحاربة بعضهم البعض وتجعل بأسهم بينهم شديداً ، وأن السبيل إلى ذلك هو الاتصال المباشر بالقرآن والسُّنّة وسِير السلف الصالح ونكران الذات ، وأن مسئولية العلماء والمفكرين المسلمين في العصر الحديث هي مواجهة التحديات المعاصرة ، وإثبات أن الإسلام قادر على قيادة الأمة وترشيدها والسموّ بها ، وتفضيل الإسلام على كل جماعة ومؤسسة وطائفة وحزب[٢].

والنموذج الثالث هو ذلكم المنحى الذي يسعى إلى بناء الشخصية المسلمة المتوازنة فكراً وعقلاً ، ووجداناً وروحاً ، المتأمل في عِبر التاريخ وما ينطق به الكون المشاهد من آيات الجلال والجمال الباعثة على إخلاص الوجه لله ، والدعوة إلى الله على بصيرة ، والسير في طريق التوسط والاعتدال ، وذلك ما شاهده وخرج به من دراسة النهضة الإسلامية في تركيا المعاصرة في كتابيه : «رجل القرآن وصناعة الإنسان (سعيد النورسي)» ، و«فتح الله كولن إمام النهضة الإسلامية في تركيا المعاصرة» .

والنموذج الرابع يتمثل في الشيخ محمد الغزالي ومدرسته الذي كان يرى أن التفريط والإفراط في تزييف أسلوب الإسلام سواء ، ويدعو الدولة والجماعات الإسلامية المتطرفة إلى التزام الرحمة والحب والشورى والتعاون ضد الأعداء الخارجين ، وينصح السلفيين المتشددين بتقديم الإسلام تقديماً شموليًّا ، وإيثار البراء على الاتهام والإيمان على الكفر والأخوة على الصراع والحقد ، والجمع في التربية بين العقل والعقيدة والأخلاق في سياق واحد ، حتى جاءت مدرسته وسطاً بين التيارات الإسلامية تلتزم بالكتاب والسُّنّة وترفض التقوقع الحزبي والتنظيمي[٣] .

وأمام هذه الحركات نرى الدكتور عبد الحليم عويس لا يدع الشاب المسلم يقف حائراً تجاه تشرذم الأمة وتوزّعها طرائق قدداً مما أدى بها إلى التأخر والضياع ، ومدهوشاً أمام معطيات الماضي ووقائع الحاضر وتطلعه إلى المستقبل، ومتعباً في البحث عن أسباب التأخر وسبل النجاة من الضياع ، وإنما يتخذ من دراسة حقائق التاريخ وثوابت الفكر ، وتحليل تلك الحركات وأثرها في الواقع المعاصر سبيلاً للوقوف على العوامل الداخلة في تكوين هذا الواقع . ووضع المبادئ التي يمكّن تدرُّع الشاب المسلم بها من تلمّس الطريق إلى النجاة

(١)ينظر : العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري . دار الصحوة ص١١١ وما بعدها.

(٢)ينظر : السابق ص١٩٩ .

(٣)ينظر: الشيخ محمد الغزالي: تاريخه وجهوده وآراؤه . دار القلم بدمشق ص٩، ١٠.

والاعتصام بما يحفظ له هويته أمام طغيان الدعوات الفكرية الهدامة وضغوط الحياة المادية ، وبناء عقله وشخصيته على نهج إسلامي رشيد .

ومن ثَمّ رأيناه يسعى إلى بيان الموقف الإسلامي من معطيات الحضارة المادية الحديثة في كتبه : «الإسلام وتحديات العصر»، و«المسلمون في معركة البقاء» ، و«الوحي والعقل والعدل في ميزان الإسلام» ، و«الدولة الحديثة في المحيط الإسلامي بين الحقيقة والتزييف» . ويذهب إلى توزيع المسئوليات وتحليل الأدوات التي تعين على الخروج من الأزمة الحضارية للمسلمين في كتبه : «النهضة الإسلامية بين مسئولية القيادة وواجبات الأمة» ، و«الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل» ، و«ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة» .

وفي ختام الحديث عن هذا الميدان نودّ الإشارة إلى أن الدكتور عبد الحليم عويس لا يقصد الحركات الإسلامية تلك الحركات المنظمة التي تهدف من وراء قيامها إلى التمكين لنفسها في الحكم والخلافة ، فالتمكين من الله كما ذكر في كتابه عن فتح الله كولن (ص٢١٧) ، وإنما يقصد الحركة الدعوية المتوثبة في سبيل أن يقدم كل امرئ ما يملك لدينه ولأمته والحفاظ عليها أمام المادية الجاثمة على عقول ووجدان العصر بعيداً عن التنظيمات السرية والتراتيب الإدارية الخاصة، والدوائر الهيكلية التي تخدم أفراد الحركة ، ويرى «أن انتهاج العمل السري لتحقيق الأهداف الإسلامية أمر لا يقبله الإسلام ولا يقره ، ولم يوجد له سوابق في مسيرة الدعوة الإسلامية ، وكل سوابق العلم السري يتصل بهؤلاء الذين أرادوا إقامة كيانات يحكمونها يسمونها (دولاً) وليس لهم غايات إلا الحكم حتى ولو زعموا غير ذلك»[1] .

٣- الدعوة الإسلامية المتنوعة الأدوات الممتدة الآفاق : يرى الدكتور عبد الحليم عويس أن ثغور الإسلام كثيرة متعددة ، وأن الرباط الصادق في كل منها يدخل في إطار الدعوة الإسلامية ، فليست الدعوة وقفاً على خطاب المنابر ودروس المساجد ، ومن ثَمّ تعددت ميادين الدعوة الإسلامية لديه وتنوعت أدواتها فوجدنا منها : القدوة الحسنة في الأقوال والأعمال ، وعقد المؤتمرات العلمية والندوات الفكرية ، ومحاربة البدع والخرافات، ومقاومة التنصير وحملات الغزو الفكري ، وكتابة المؤلفات التي تبصر الإنسان بحقيقة الحياة وتأخذه إلى السير في طريق النجاة .

والقدوة الحسنة تلتمس آثارها في رائدها الذي تمثلت في شتى جوانب حياته ﷺ ، وفي السائرين من الدعاة والمصلحين على نهجه القويم. فقد تميز ﷺ في قدوته عن غيره من السابقين واللاحقين بأن المرء قد يجد أسوته لديهم في أمور العبادات، أما محمد ﷺ فإن الأسوة لديه تجدها في العبادات

(١)الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل . رابطة العالم الإسلامي ص١٢٥.

والمعاملات والأحوال الشخصية وأمور الحياة الاجتماعية[١] .

«وقد ألف الناس – على امتداد التاريخ وتقلب المجتمعات والمقاييس – أن يروا كثيراً من الناس يكافحون في صدر حياتهم كي يصلوا إلى مركز مرموق أو مستوى راق من الحياة الاقتصادية والاجتماعية .. أو السياسية والفكرية .. فإذا ما وصلوا إلى ما أرادوا تبدلت حياتهم .. حتى وإن حافظوا على بعض سجاياهم الخلقية ، فالمجتمع لا ينكر عليهم ذلك، بل يعتبره حقًّا طبيعيًّا وثمناً عاديا لرحلة الكفاح .

لكن التاريخ لم يشهد عظيماً من العظماء – في غير مستوى النبوة الكريمة – تنسجم حياته وتتوازن في مستوى واحد وكأنها نهر هادئ لا تعكر مسيرته أعاصير الثراء ، ولا عواصف الفقر ، ولا امتحانات الاضطهاد والقلق .. ولا الظفر والانتصار .. فليس هناك تغير في المستوى الفردي أو الاجتماعي .. بل هناك رضا تام .. بالمستوى الأقل من الحياة الاقتصادية ، وحب عارم للحياة مسكيناً والموت مسكينًا»[٢] .

ومن هذا المنطلق نراه يركز في كتابه عن «فتح الله كولن» (ص٩٩) على وقوفه في كتابه «النور الخالد محمد ﷺ مفخرة الإنسانية» أمام جانب القدوة الحسنة في حياته ﷺ . ويرى أن الاقتصار على الجانب النظري في حياة المسلم يحول الإسلام لديه إلى نظرية ومذهب له تفسيره وفقهه وأصوله ، دون أن يظهر روحه وأثره في الجانب العملي، وذلك يستوجب النظر في أهمية استحداث علم جديد في الجامعات الإسلامية يعنى بالجانب التربوي والسلوكي في حياة المسلم، يسمى علم السلوك الإسلامي أو علم التقوى أو علم الأسوة الحسنة[٣] .

ويعود الدكتور عبد الحليم عويس في التأكيد على ذلك عند الدعاة والمصلحين في العصر الحديث ؛ عندما ذهب إلى دورها في رسوخ مدرسة الشيخ محمد الغزالي الوسطية بين الحركات الإسلامية المعاصرة بقوله : «إن مدرسة الإمام الغزالي تعتمد الفكر والبيان مع التربية والعمل سبيلاً لتقديم المشروع الحضاري الإسلامي ، وهي ترى في الداعية الشيخ محمد الغزالي النموذج الصالح في الاحتذاء والاقتداء»[٤] .

وفي جانب عقد المؤتمرات والندوات التبصيرية فقد تنوعت هذه المؤتمرات في اهتماماتها وموضوعها من تناول قضايا الحضارة الإنسانية عامة والحضارة الإسلامية خاصة ، وموضوعات الأدب الإسلامي ، وتقريب المفاهيم بين الطوائف المتعددة ، ودراسة الواقع الإسلامي في عصر التحديات ، وتفسير الأحداث التاريخية في حياة الأمة .

---

(١)ينظر : في ظلال الرسول ☺ ص١٧٢ .
(٢)السابق ص٦٦ ، ٦٧ .
(٣)ينظر : الإسلام كما أومن به ص٧ .
(٤)الشيخ محمد الغزالي : تاريخه وجهوده وآراؤه ص١٤١ .

وتعددت أماكن عقدها وإقامتها في بلدان العالم الإسلامي كله شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، فتارة تجده في بلاد الشرق الأقصى (الهند ، باكستان ، أفغانستان) ، وأخرى في بلاد القوقاز ، وثالثة في بلاد الشرق الأوسط العربي ، وغيرها في بلاد المغرب العربي ، وأخرى في القارتين الأوربية والأمريكية . ولم يكن حضوره فيها (للتشريف فقط) بل كان محاضرًا أو مناقشًا أو مؤسسًا للدعوة إلى هذه المؤتمرات ، متسمًا في ذلك بالحركة الدءوبة والمشاركة اليقظة والحرص على الخروج بقيمة فكرية وورقة عمل ناهضة بتحقيق أهداف هذه المؤتمرات ، ونستطيع أن ندرك دور هذه الأداة في حياة الدكتور عبد الحليم عويس إذا علمنا أنه حضر أكثر من مائة مؤتمر عالمي وندوات أخرى إقليمية .

وفي جانب محاربة البدع والخرافات يتخذ الدكتور عبد الحليم عويس طريقين . أولهما : طريق عملي يتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك مثل الموقف الذي ذكره عن نهيه أحد الناس في مسجد الحسين بالقاهرة من التعلق بأستار قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وما دار بينهما من حوار في هذا الموقف ، وثانيهما : طريق علمي تمثل في متابعة جهود السابقين في محاربة البدع والخرافات التي سادت لدى بعض المتصوفين – خاصة أصحاب التصوف الفلسفي النظري لا السلوكي التربوي – أمثال : سهل التستري في كتابه : المعارضة والرد عل أهل البدع والخرافات وأهل الدعاوى في الأحوال[1] ، والوقوف أمام جهود المعاصرين بدراسة ضوابط السلوك الصوفي في فكر النورسي المتمثل في توحيد المنهج والغاية بعد توحيد القبلة ، وخروج بعض الصوفية عن الشريعة الإسلامية : الأسباب والعلاج .

وهو في هذين الطريقين لم يذهل عن تلك الحقيقة التي يقوم عليها جوهر المنهج الإسلامي وهو مراعاة جانب الروح وجانب المادة ، وقد كرر ذلك المعنى في كثير من كتبه التي تحدث فيها عن الإسلام : منهجاً وحضارةً وأثراً في الحياة الإنسانية ، حتى وجدناه ينعى على هؤلاء المادّيين الذين يضغطون على الجانب المادي ويهملون الجانب الروحي أو العكس ، ويرى أنهم يفتقدون الفطرة المتوازنة المتكاملة[2] .

وفي جانب مقاومة التنصير والغزو الفكري ، فقد صال الدكتور عبد الحليم عويس وجال كثيرًا في هذا الجانب ؛ لما يراه من خطورة التنصير بصوره المتعددة الظاهرة في عملية التبشير بالنصرانية في شتى بلدان العالم وفي مقدمتها العالم الإسلامي ، والمتخفية المستترة تحت ظلال أندية الروتاري الماسونية، وعباءة المستشرقين المغرضين وتحريفهم ثوابت هذا الدين ومحاولة زعزعة

(١)ينظر : ثوابت ضرورية في فقه الصحوة ص٧٥ وما بعدها .

(٢)ينظر في ذلك – على سبيل المثال – كتابه «ثوابت ضرورية في فقه الصحوة» ، فصل الحياة الروحية في إطارها الإسلامي .

قواعده في نفوس تابعيه وصدّ من سواهم عن الدخول فيه . وقد اتخذت جهود الرجل في ذلك طرقاً متعددة . منها : التتبع التاريخي لحركة التنصير في العالم الإسلامي : أعمالها ، منطلقاتها ، غاياتها ، آثارها[١] . ومنها : الكشف عن قصة الاستشراق وأهمية التسلح بالأدوات المعرفية التي تعين على كشف الأهداف الخبيثة لهؤلاء المغرضين[٢] . ومنها: الكشف عن الوسائل الحديثة – المادية والمعنوية – التي اتخذها الغرب سبيلاً للتنصير والقضاء على شوكة الإسلام والمسلمين[٣] . ومنها: الوقوف أمام الاستشراق في غزوه الجديد للعالم الإسلامي وبيان مناهجه والكشف عن نماذجه والأساليب التي يجب أن يتخذها المسلم في مقاومة الاستشراق، وتزويد العقل المسلم بما يسعفه في الوقوف أمام التيارات العلمانية والدعوات اليهودية[٤] .

ج- أهداف المدرسة :

وهذه المدرسة وضعت نصب عينيها منذ البداية أهدافاً ثابتة تسعى إلى تحقيقها ، ويمكن تحديد هذه الأهداف في : الدفاع عن ثغور الإسلام ، والتعريف بعظمة الإسلام وحضارته، والحفاظ على الهوية الإسلامية في كل مكان ، وبناء الداعية المسلم المؤمن بقضيته .

١- وفي جانب الدفاع عن ثغور الإسلام يرى الدكتور عبد الحليم عويس أن ثغور الإسلام متعددة مكاناً في الداخل والخارج ، وطبيعةً دعوةً نظرية وعملية ، وموقفاً كشفاً للحقائق ودحضاً للأباطيل ، وأن القائم على أمر مما سبق فهو مدافع عن ثغر من ثغور الإسلام . ومن هنا كان سعيه إلى ردّ النزعات الفكرية الآثمة ومناقشة العلمانيين وكشف حقيقة الرجل الصنم «كمال أتاتورك» في كتابه «العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري» (ص٦٥)، ودعوته إلى التقريب بين المذاهب والاتجاهات في مواجهة الباحثين عن تمزيق الأمة وتشتت أبنائها بين السلفية والصوفية في كتابه عن الشيخ محمد الغزالي (ص١٣٩) ، واعتماده التقييم الموضوعي سبيلاً لمواجهة ما أثير من شبهات حول المجتمع الإسلامي في خلافتي الأمويين والعباسيين في كتابه «دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية» (ص١٠١). وذهابه إلى دحض أقوال معارضي الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية في كتابه «ثوابت ضرورية في فقه الصحوة» (ص٣٣) ، ودراسة فوضى الفهم للإسلام مظاهرها وعلاجها في كتابه «الإسلام كما أومن به» (ص٢٣) ، وتتبعه صور وآثار

---

(١)ينظر كتاب:الغارة المعاصرة على المسلمين: منطلقاتها وغاياتها ص١٣ وما بعدها .

(٢)ينظر في ذلك كتاب : ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة ص٥٥ وما بعدها.

(٣)ينظر كتاب : المسلمون في معركة البقاء . مبحث الملحمة الأولى ص١١ ، والملحمة الرابعة ص١١٧ .

(٤)ينظر : مبحث الفكر الإسلامي ومواجهة التحدي الاستشراقي من كتابه : العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري ص٩ وما بعدها.

الغارة اليهودية على إفريقيا في الدين واللغة في كتابه «الغارة المعاصرة على المسلمين» (ص٨٥) ، وذلك بجانب وقوفه بالمؤازرة والتأييد لمن كان يقف على ثغر من هذه الثغور المتعددة.

٢- وفي جانب التعريف بعظمة الإسلام وحضارته نقف على بيانه حقيقة العدل في الإسلام ، وصور التكافل الاجتماعي في الإسلام ، وذهابه إلى أن الوحي والعقل هما جناحا الحضارة الإسلامية في كتابه «الوحي والعقل والعدل في ميزان الإسلام» (ص٥ ، ٢٥ ، ٨٥) ، وكتابته عن الـمُثل والأخلاق النبيلة التي تحقق إنسانية الإنسان وتحفظ له حقه في الحياة الحرة الكريمة ، وذلك في إطارها النظري ممثلاً في بيانه ما حفل به الذكر الحكيم - بجانب إعجازه الأدبي - من دروس تاريخية وقيم تربوية تحقق إنسانية الإنسان ، وتنأى به عن الوقوع في دروب التيه والوصول إلى شاطئ السعادة في الدنيا ومرافئ النجاة في الآخرة[١] . وممثلاً - بعد ذلك - فيما جاء في كتابه «الحضارة الإسلامية: ثوابتها وفضلها على الحضارة الإنسانية» عن مصادر ومقومات هذه الحضارة (ص٢٥، ٣٩) ، وعن إسهام الحضارة الإسلامية في شتى جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية ، وأثرها في الدراسات والعلوم التجريبية والعقدية والتاريخية (ص٤٩ وما بعدها) .

وفي إطارها العملي مجسدًا في إشادته بالمواقف النبيلة والشخصيات المجاهدة من أجل جعْل هذه الـمُثل حيَّة متحركة في دنيا الناس من خلال ما كتبه عن المجاهدين على الطريق في العصر الحديث (محمد بن عبد الوهاب الداعية المصلح ، وعبد الحميد بن باديس المجاهد المجدد ، ومحمد فريد وجدي المفكر المجتهد ، وبديع الزمان سعيد النورسي رجل العلم والإيمان ، وأبي الحسن النَّدْويّ المجاهد المفكر ، والشيخ محمد الغزالي الداعية المجدد)[٢] . ثم متمثلاً - مرة أخرى - في تلك اللوحات الأدبية التي صور فيها جوانب البطولة والثبات على المبدأ في حياة الرعيل المتقدم : أحمد بن حنبل ، ومحمد بن يوسف (ابن الأحمر) وأسد بن الفرات ، وسعيد بن المسيب ، ويوسف بن تاشفين ، وزيد بن عليّ ، ومحمد بن القاسم الثقفي ، وعيسى الغواص ، وسعد بن أبي وقاص . والتى وقفنا عليها في باكورة نتاجه «قصص إسلامية» .

٣- وفي سبيل تحقيق الهدف الثالث : الحفاظ على الهوية الإسلامية في كل مكان وجدنا الرجل يسعى إلى تجلية الجانب الإسلامي المشرق فيما كتبه عن الهنود المسلمين على امتداد التاريخ في كتابه «صفحات من جهود المسلمين في الحضارة الهندية» متخذاً من التتبع التاريخي ، والبحث

---

(١)ينظر : مجلة الأزهر . عدد : صفر ١٤٣٢هـ ، وربيع الأول ١٤٣٢هـ .

(٢)ينظر : العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري ص١٠٩ وما بعدها .

في جوانب الحضارة المتعددة ، ودراسة واقع المسلمين الهنود في العصر الحديث سبيلاً للوقوف على أبعاد الهوية الحضارية للمسلمين في شبه القارة الهندية ومقاومتهم لتيارات التغريب عن الإسلام التي لم ينج من سهامها بلد من بلاد المسلمين في شتى أنحاء العالم .

وشاهدناه يقوم بدور رائد في تدعيم الحركة الإسلامية في الجزائر بعد التحرر من الاستعمار الفرنسي وزيارته أكثر من عشرين زيارة من أجل ذلك ، وإسهامه في الدعم العلمي والتربوي لإنشاء الجامعة الإسلامية بروتردام (هولندا) ، وقيامه بزيارتها لنحو شهر ونصف لعدة أعوام حتى استقامت مسيرتها الأكاديمية[١] . ووقفنا على مساعدته المبعوثين من البلاد الإسلامية وإمدادهم بما يؤصل الجانب المعرفي والهوية الإسلامية في علومهم وسلوكهم ، وإقامة علاقات طيبة بينه وبين هؤلاء المبعوثين من دول شرق آسيا وتركيا وقربه منهم استضافة ومدارسة ، والبحث عن فرص عمل لهم لمن يرى حاجة إليه في سبيل إكمال بعثته ليعود إلى وطنه مثالاً للمؤمن الواعي بمعطيات العصر المؤمن برسالته المحافظ على هويته . ورأيناه يقف مدافعاً عن الإسلام والمسلمين أمام حملات التغريب والتبشير الصليبي التي تجتاح العالم الإسلامي في كثير من بلدان إفريقيا الوسطى وشرق آسيا ، وكشف دور العملاء من حكام هذه البلاد في التواطؤ مع الاستعمار الجديد في طمس مقومات الدين الإسلامي في عقل وقلب أبنائه المستضعفين .

٤- وفي جانب بناء الداعية المسلم المؤمن بقضيته يتجلى لنا بعض المواقف المشرقة في حياة الدكتور عبد الحليم عويس . فقد كان مهتماً بالدعوة في برامجه الإذاعية وكتاباته المقالية ومؤلفاته العلمية ، ويسهم بجهد موفور مشكور في هذا الجانب . ولا ينسى رواد مسجد قادوس وجامع المتولى في مدينة المحلة الكبرى قيام الدكتور عبد الحليم عويس بالتوعية الدينية فيهما في شهر رمضان من كل عام ، لا يثنيه عن ذلك ارتباطاته العلمية ولا ظروفه الصحية ، وذلك بتلك الكلمات الطيبة التي كان يلقيها بين ركعات التراويح في مسجد قادوس تلبية لرغبة رواده، أو الدروس الدينية التي كان يقوم بها إبان اعتكافه في جامع المتولي الذي كان يؤثره بهذه الشعيرة لما له من ارتباط نفسي به وبالقائمين على أمره في العبادة والدعوة[٢] .

بل إننا نرى للرجل في هذا الجانب أمراً عجباً ، فقد كان حريصاً على المساعدة المعنوية والعلمية والمادية لشباب الدعاة من حوله ، ولم يشأ في هذا الجانب أن يقتصر على إمدادهم بالمراجع التي تعينهم على أداء مهمتهم ، بل كان يجدّ في أن يساعدهم في إقامة كل منهم مسكناً خاصاً به يعينه على

(١)مجلة الأدب الإسلامي العدد ٧٣ . ص٢٢ .

(٢)هما فضيلة الشيخ الفاضل عبد السلام أبو الفضل ونجله المبارك الدكتور أحمد عبد السلام أبو الفضل زوج ابنته .

التفرغ لأداء رسالته في الدعوة والقيام بأعبائها بين الناس ؛ غير عابئ بما قد يردده بعض المحيطين به من أنه يأخذ حق أبنائه فيما يملك ويعطيه للآخرين ، فقد كان الرجل مؤمناً بما يفعله حريصاً على القيام به في صبر وتفانٍ دون انقطاع .

وأشير في هذا الجانب إلى قصته مع الداعية عمرو خالد وتعدد وجوه الوقوف بجانبه ، فقد كان مستشاراً علميا له يراجعه في كل ما يتناوله من مسائل الدين وأحداث التاريخ وعِبر السيرة النبوية ، ووقف بجانبه مدافعًا نقد الشيخ محمد حسان له في الأسلوب والمنهج ، وبهذا الدفاع مكّن له من الاستمرار في مسيرته الدعوية واستقامة الأمر بين الرجلين في النهاية ، بل إنه رسم له منذ البداية طريق النجاح في مهمته عندما أوصاه بثلاثة أمور يجب التحلي بها في دعوته ، وهي التخلي عن الأحاديث الضعيفة حتى لا يستهدف من قبل الآخرين، والبعد عن الفتوى ما دام لا يملك أدواتها التي تمكّنه من الخوض فيها، وعدم الانضمام إلى حزب سياسي أو ديني يُحسب عليه ويُقيده عن الانطلاق في دعوته . وتلك مواقف وقفت عليها في صحبتي للرجل ، وقد ذكر الداعية عمرو خالد في تأبينه الذي نشر في مجلة التبيان (ع ٩١ ص٢٤) أن الدكتور عبد الحليم عويس كان تلميذاً للشيخ الغزالي ، وأنه كان تلميذاً له بما يؤيد ما وقفنا عليه في هذه العلاقة .

وبناء الداعية المسلم المؤمن بقضيته يقتضى تزويده بما يعينه على فهم أبعاد هذه القضية والتمسك بها والتحلي بآدابها في الفكر والسلوك . ومن ثَمّ كان لا يألو جهدًا في التركيز على هذه الجوانب في كتاباته ، ومن ذلك ما كتبه في مؤلَّفه «ثوابت ضرورية في فقه الصحوة الإسلامية» عن فقه الثوابت ودرء التعارض بين الثابت والمتحول أو بين الوحي والعقل ، وعن فقه التحول والعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية في شتى جوانب الحياة[١] . وما دعا إليه الشاب المسلم في كتابه «الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل» من إدراك حقيقة رسالته في الحياة ، وفتح آفاقه الفكرية على حقائق دينية ومفاهيم علمية تعينه على المضي قُدماً في أداء رسالته في ثبات ويقين[٢] .

بل وفي فتح مكتبته أمام الدارسين والباحثين في بلدته وقد هيأ لهم مكاناً خاصاً بهم يقضون فيه من الأوقات ما يشاؤون بعد أن وجدوا فيه طلبتهم العلمية وراحتهم النفسية، ويلتقون فيه كل أسبوع في ندوة علمية يفد إليها طلاب العلم في جلسة قرائيَّة تجمع بين الدراسة والتربية والمناقشة والتحليل.

د- أدوات المدرسة :

ولمدرسة الدكتور عبد الحليم عويس الفكرية أدوات تحقق أهدافها ، وتتحرك بها في ميادينها ، وتجسد مقوماتها أمام الدارسين ، وهي تتمثل لدينا في: الحركة الفاعلة في الحياة، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ،

(١)ينظر في هذا الكتاب ص١١،٣٣ وما بعدهما
(٢)ينظر في هذا الكتاب ص١١١ وما بعدها .

واليقظة في تحقيق الأهداف .

١- ففي جانب الحركة الفاعلة في الحياة وجدنا الدكتور عبد الحليم عويس لا يعرف السكونية في حياته ، وإنما كان دءوبًا في البحث عن مواطن الحركة الإيجابية المؤثرة في جانبها المعنوي ، وذلك بالإسهام في ميادين المعرفة الإسلامية المتعددة : تاريخاً وحضارةً وفقهًا وتفسيرًا وعقيدة واجتماعًا ويضرب في كل منها بسهم وافر . وإذا وقفنا على ثَبت مؤلفاته فإننا نجد أنفسنا أمام كاتب موسوعي ترك وراءه تراثاً ثريًّا في نواحي الأدب والفكر، والسياسة والاجتماع ، والتاريخ والحضارة ، والعقيدة والأخلاق، والفقه والتفسير . وبالكتابة لكل الفئات التي يراها موطناً للخطاب وفي حاجة للبيان ، فقد كتب للمتخصصين في الدراسات الإنسانية والدينية ، وعامة المثقفين الراغبين في الوقوف على الحقيقة ، والناشئين الذين هم في حاجة إلى تيسير المعارف والعلوم التي تعينهم على التكوين الفكري والتربوي السليم ، والشباب المتطلع إلى المستقبل الناهض بأعباء الأمة فيما تأتي به الحياة المعاصرة من أحداث .

ثم في جانبها المادي الماثل في التنقل والترحال بين البلاد الإسلامية من أجل نقل أفكاره وتدعيم مشروعه ومشاركة أهل هذه البلاد في دراسة قضاياهم وما يمر بواقعهم من مشكلات معرفية . فقد تنقل بمحاضراته ودراساته بين مصر والسعودية والجزائر والهند والأردن وتركيا وباكستان وأفغانستان وأوربا وأمريكا الشمالية والجنوبية ، ولم يكد يستقر في مكان حتى يهيء نفسه للسفر إلى غيره تلبيةً لدعوة أو سعياً لموطن جديد من مواطن الحركة ، وكأنه موكل بمتابعة واقع المسلمين الفكري والديني والحضاري في هذه البلدان ، والوقوف على أحوالهم وطرح الحلول لمشكلاتهم ، ونشر مقومات الدين الحنيف لدى المتطلعين إلى معرفتها من غير أهله أو تدعيمها في نفوس المؤمنين بها والوصول بهم إلى عين اليقين .

ومن هذا المنطلق كان الرجل حريصاً على أن يقيم علاقات طيبة مع كل الاتجاهات الدينية المتعددة في الميدان ، ويسعى إليها كأنه أحد المؤسسين لهذا الاتجاه أو ذاك ، ومن ثَم كنت تراه في المؤتمرات الأدبية ، ومجالس الصوفية الراشدة ، وندوات السلفية المعتدلة ، ولقاءات جماعة الإخوان الدعوية ، واجتماعات الفئات الثقافية ؛ لا يحول بينه وبين الوجود مع أصحابها مانع من تشدد أو حاجب من خلاف أو حاجز من شقاق ، وقد جعل من علاقته الطيبة بكل هؤلاء طبعا يسير عليه في حياته ما داموا قد التزموا بعدم الخروج على المنهج ونأوا عن إنكار دور الدين في الحياة الآمنة الرشيدة .

٢- وفي أداة الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ؛ فقد كان الدكتور عبد الحليم عويس يتخذ سبلاً عملية وقولية في توظيف هذه الأداة. وأذكر أننا كنا في ندوة تقريب المفاهيم حول الأدب الإسلامي التي أقامتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية في القاهرة في جمادى الآخرة عام ١٤٢٣هـ ، وقد ألقى

الدكتور جابر قميحة رحمه الله قصيدة شعرية مطولة ، ولأن الرجل كان مكلفاً بإدارة الجلسة فقد علق على القصيدة بالطول رعاية لحق المشاركين فيها بالطول ، فثار الدكتور قميحة وصبّ جامّ غضبه على الدكتور عويس لهذا التعليق الذي تدخل به وأصر على إكمال القصيدة، وقد استطاع الدكتور عويس أن يتجاوز الموقف ويكظم غيظه ولا يبادل الدكتور قميحة بما يفسد على الندوة عملها، ويكدر صفو الجو الذي أتت في ظلاله وهدفها في جمع الشمل وتقارب الفكر بما عده كثير من الحاضرين من مآثر الرجل وحكمته وقدرته على حسن التصرف في معالجة المواقف والأحداث .

ولم لا يكون كذلك وهو قد نادى في كتابه «العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري» أن التغيير والمقاومة يكون بالمواجهة بالفكر لا بالصدام والاقتتال ، ودعا في كتابه «الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل» إلى نبذ العمل السري في مقولته التي مرت بنا وأفاد فيها أن الإسلام لم يعرف العمل السري المنظم ، وأن القائمين به هدفهم أن يقيموا دولًا يحكمونها ، وليس لهم غاية إلا الحكم حتى ولو زعموا غير ذلك[1] . وكشف عن وجوه عديدة من حكمته ﷺ في مواقفه مع قومه في أسلوب الدعوة ، وعند ذهابه إلى المدينة ، وفي صلح الحديبية ، وفي إرسال الرسل ؛ وذلك في كتابه الذي حمل ذوب عقله ونبض وجدانه «في ظلال الرسول ﷺ» .

٣- وحين نأتي إلى أداة اليقظة في تحقيق الأهداف ، فقد كان الدكتور عبدالحليم عويس على المستوى المعرفي يقظاً في معالجة مسائله في كتبه ، ويعرف كيف يصل إلى ما يريد بأقصر عبارة وأيسر سبيل ، لا يحول بينه وبين ما يريد استطراد في القول ، وتشعب في الكلام ، وقد اتخذ من المنهجية العلمية والتأمل الفكري والوضوح في الطرح أسلحة تعينه في إصابة الهدف دون غموض أو التواء أو ادّعاء . وأذكر أنني قرأت جملة في كتابه «دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية» (ص١٠) استوقفتني كثيراً لتلخيصها القضية في عبارات موجزة دالة على عمق النظر وإحاطة البصيرة : لقد بدأت أولى هزائمنا – في أحد واستشهاد سبعين رجلاً من خيرة المسلمين – بسبب الغنيمة ، ولقد وقفنا مرغمين عند آخر مدى وصلت إليه فتوحاتنا بسبب الغنيمة .. قصة الغنيمة هي قصة الهزيمة في تاريخنا الإسلامي .. منذ غزوة أحد حتى هزيمة عبد الرحمن الغافقي في بلاط الشهداء . يا لها من عبارات تغنى عن كثير من المؤلفات عن ضرر التكالب على الدنيا وأثر التكاثر المادي في حياة الأفراد والشعوب.

وعلى المستوى العملي فقد كان الرجل فاقهًا للواقع الإسلامي المعاصر وموقف الحكام من بعض الدعاة المتحمسين والوعاظ المتشددين ، وخوفهم من تمزق الأمة وتشتتها في ظل هذا التحمس والتشدد ومقاومتهما بكل

(١)ينظر ص١٨ من هذا البحث .

سبيل. وذلك ما دفعه إلى البعد عن الصدام مع السلطة ، وذهابه إلى أن رسالته تكمن في البحث عن الحقيقة وكشف أبعادها واضحة جلية للناس والدفاع عن الإسلام ، لا مهاجمة القائمين على أمر البلاد والعباد لما قد يصدر عنهم من تفريط في الاحتكام إلى المنهج السديد والتمسك به في شتى جوانب الحياة . وقد كان رائده في ذلك الشيخ محمد الغزالي الذي كان كثيرًا ما يذكر قوله : إن الداعية الحصيف هو الذي يُطيل عمره في مجال الدعوة ، فلما سئل عن ذلك قال : يجهر بالحق دون أن يصطدم بالسلطة فتقضي عليه ويخرج من الميدان قبل أن يؤدي رسالته في الحياة .

وأرى أنني لست مغاليًا إذا قلت إن الرجل كان في كثير من المواطن يتحدث أو يكتب وهذا الهاجس لا يفارقه ، لا خوفًا ولا فزعًا وإنما حكمة وحنكة وتساوقًا مع الواقع وفهمًا لطبيعته ، وقد تبدّى ذلك في كثير من المواقف التي يعرفها المحيطون به في حله وترحاله . فمن ذلك نأيه في تسجيل الرسائل العلمية إبان عمله في جامعة الزقازيق عن الإشراف على من يراه ذا نشاط حركي من الإخوان حتى لا يستهدف معهم ويُحسب عليهم عند السلطة والناس.

وضم بعض الصبيان في مجالسه العلمية ليغرس في نفوسهم منذ الصغر القيم الإسلامية الرشيدة، ودرءًا لشبهة أن يكون اجتماعه مع الكبار ذوي الحركة الناهضة بالتغيير في جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية . وإجابته الذكية عن سؤال توجه به إليه أحد الحاضرين ذات يوم في مجلسه عن مشروعية ذهابه إلى الكنيسة للمشاركة في عقد قران ابنة جاره المسيحي ، فقال له : دلني على الكنيسة وأنا أذهب إليها معك ؛ لأنه لا يجد في نفسه حرجًا من هذا الذهاب، واستشعارًا منه أن يكون هذا السؤال مدسوسًا عليه من قبل خصومه.

وبهذه الأدوات استطاع الدكتور عبد الحليم عويس أن يمضي إلى غايته في تحقيق مشروعه الفكري والحضاري والدعوي ؛ دون أن يصرفه عن ذلك صوارف العوائق والمضايقات ، أو يقع في براثن الشطط والمهاترات ، أو يتردى في سوء التقدير والبطولة المدعاة ، وغير ذلك من الأدواء التي ذهبت بكثير من معاصريه الذين قدموا النظر إلى أنفسهم على النظر إلى كيفية أدائهم لدورهم في التنوير والتثبيت ، فقعدت بهم غفلتهم عن الوصول إلى النجاح في أداء رسالتهم في الحياة .

هـ- آثار المدرسة :

وتبدو آثار مدرسة الدكتور عبد الحليم عويس في مظهرين ، هما : الآثار العِلْمية والآثار العَملية .

١- وفي جانب الآثار العلمية لا نعيد القول فيما تركه من مؤلفات تتنوع في مادتها واهتماماتها بين الأدب والدين والتاريخ وما يندرج تحتها من ألوان وقضايا ، ولكننا نشير هنا إلى دوره في عمل الموسوعات العلمية التي تُعدّ زاداً علميًّا للباحثين ، وصورة جيدة

للتأليف المنهجي الموضوعي ، ودائرة معارف متكاملة في الفكر والثقافة والعلوم العربية والإسلامية .

ومن جهوده الموسوعية في هذا المجال : تفسير القرآن الكريم للناشئين في ثلاثين جزءًا (بالاشتراك مع الأستاذ على عبد المحسن جبر). وتحرير الملف الفقهي لجريدة الشرق الأوسط الدولية ، جمع فيه ما قدمه في هذا الباب في خمس سنوات ، وأصدرته المؤسسة في ثلاثة عشر كتاباً ، ونشرها بالقاهرة عن دار الوفاء في ثلاثة مجلدات تحت عنوان : موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر . وأشرف على عمل موسوعة في التاريخ في نحو عشرة آلاف صفحة ، وأنجزت منذ أعوام لسمو الأمير الدكتور / سعود بن سلمان بن محمد آل سعود بالرياض . وأنجز موسوعة موجزة في التاريخ للجامعة الأمريكية المفتوحة في حدود ثمانمائة صفحة . وقام بالاشتراك مع بعض الأساتذة بالإشراف العلمي على موسوعة الإدارة العربية الإسلامية لحساب المنظمة العربية للتنمية الإدارية التابعة لجامعة الدول العربية في ثلاثة عشر جزءاً (٧ مجلدات) . وأسهم في إعداد مواد (إدارة الجيش والقضاء والشرطة ، وإدارة التنظيمات المهنية والحرفية العربية والإسلامية في الحضارة الإسلامية عبر مراحل التاريخ الإسلامي) . وأشرف على إنجاز معجم مصطلحات علوم القرآن لحساب دار الوفاء بالقاهرة وأسهم في إعداد بعض مواده العلمية[1].

٢- وفي جانب الآثار العَملية فقد استطاع الدكتور عبد الحليم عويس أن ينهض بالحركة الفكرية والدينية والأدبية في مصر وغيرها من البلدان العربية والإسلامية . فقد ترك أثراً كبيراً في الحركة الفكرية الإسلامية بالجزائر ، حيث كان أحد الناشطين الفاعلين في منتديات الفكر الإسلامي في الجزائر ، بما يُلقيه من محاضرات ويقدمه من مقترحات ويشارك به في تنظيم المؤتمرات . وخلف وراءه منهجاً وسطيًّا في بلاد الشرق الأقصى بالتعاون مع علماء ندوة العلماء بالهند ، واختط منهجاً متوازناً في المجلات الدينية في رئاسة تحرير مجلة التبيان التي تصدرها الجمعية الشرعية بالقاهرة . وأضفى في حياته تأثيراً منهجيًّا وعلميًّا في مفكري كوسوفا ؛ شهد به الدكتور بكر حقي إسماعيل ممثل كوسوفا في جمهورية مصر العربية في قوله : «إنني وجدته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على درجة عالية من التفكير والتركيز ، شديد الفهم لما يدور في أذهان العالم الغربي بالنسبة لما يتعلق بقضايا المسلمين واتجاهاتهم ، وهو مفكر ذو تأثير قوي على كل من يقابله، فعندما التقى بمفكري كوسوفا أثر فيهم تأثيراً شديداً لدرجة أنهم عندما سافروا إلى كوسوفا أخذوا يفكرون بطريقته ومنهجيته ومعالجته الحاسمة للموضوعات . وقد شغل أذهانهم ، ولا يزالون يطلبون مؤلفاته ومصنفاته لقراءتها والاطلاع

(١)مجلة الأدب الإسلامي ع ٧٣ . ص٢٢ وما بعدها .

عليها ، نظراً لما تحتوى عليه من تراث علمي ضخم ، ونتاج فكري كبير ، فقد استولى بفعله وعلمه على ألباب الدارسين والمفكرين من أبناء كوسوفا»[١].

وقد تمكّن من إعداد جيل جديد من الباحثين والدعاة ، تمثل في ذلك النفر الذي أسهم في التكوين العلمي لهم إبان عمله خبيراً برابطة الجامعات الإسلامية. وإيجاد جيل شبابي من الدعاة المحيطين به ، يقوم منهجهم في الدعوة على الوسطية وفي المعاملة على التوادّ والتحابّ في الله . وترك بصمات واضحة في نفوس واتجاهات هؤلاء الذين أتوا لتلقي العلم في مصر من شرق آسيا وأفريقيا وتركيا، بما كان يقدمه لهم من مساعدة علمية ويبديه من معاملة كريمة ، وقد وجدناه يتردد عليهم كثيراً ويترك مسكنه بالقاهرة ليكون قريباً منهم ، ويحمل لهم ما يحتاجون من زاد عن نفس سخية وروح طيبة إيماناً واحتساباً جعلهم يقفون بطريقة عملية على معنى الأخوة الحقة في الإسلام . وأخذ بيد كثير من المثقفين للدخول في دائرة الوسطية في الفكر والنُّبل في الخُلق والنأي عن الغلوّ في الفكر والتشدد في المعاملة والسلوك .

ويستطيع الدارس في حياة الرجل وأعماله أن يقف على صور عديدة من هذه الآثار في تلك الكلمات التي قيلت في نعيه من العلماء والباحثين والدعاة والدارسين التي تجعل من حياته وآثاره كما ذكر أحد الباحثين دليل عمل للنهضة الفكرية الإسلامية في العصر الحديث[٢] .

وختاماً : فقد كنت قريباً من الدكتور عبد الحليم عويس قدر ما يسعفني الوقت والظروف للقائه ، وقد يكون من تلاميذه وأصدقائه المحيطين به من هو أكثر قربًا وأمسّ صلة به بما يجعله قادرًا على إعطاء صورة أكثر دقة عن ملامح شخصيته . بيد أنني في هذه الصفحات حاولت أن أجعل من قربي من عقل ونتاج الدكتور عبد الحليم عويس الفكري والعلمي ما يعينني على إعطاء صورة صادقة عن مشروعه الفكري والحضاري والدعوي ، فالجوانب الإنسانية التي يقف عليها المحيطون به تدل على ما كان يتمتع به الرجل من خلق سمح وطبع كريم في دنيا الناس ، ولكن يبقى لمشروعه الفكري صوته وصداه في سمع الزمان : يجهر بالحق ويدافع عنه ، ويدعو إلى اليقظة والعمل الهادف ، ويأخذ بالمجتمع للسير في طريق النهضة والتقدم الحضاري المنشود .

ومِن ثَمّ كان توجهي إلى تحديد معالم هذا المشروع ، واعتمادي في تضويء أركان مدرسة الدكتور عبد الحليم عويس على ما كتبه الرجل لا على ما كُتب عنه، حذراً من الوقوع في أسر الرؤية الذاتية للآخرين ، أو التردى في أودية التكرار المملول . ولعل ما جاء في هذه الصفحات عن مقومات هذه المدرسة وميادينها وأهدافها وأدواتها وآثارها يدلل على منهجيتها وتكاملها ووقوفها شامخة بين المدراس الفكرية والحضارية المعاصرة التي تمتلك الرؤية والإخلاص والرغبة الجادّة في إيجاد مجتمع إسلامي رشيد .

---

(١)مجلة الأدب الإسلامي . عدد سابق ص٧ .

(٢)ينظر : مجلة التبيان . عدد سابق ص٢٠ .

المصادر :

١- أربعون سبباً في سقوط الأندلس . د. عبد الحليم عويس . دار الصحوة للنشر. ط ١٩٩٤م .
٢- أسطورة إحراق طارق بن زياد للسفن . د. عبد الحليم عويس . دار الكلمة للنشر والتوزيع ط١ ، ٢٠١٠م .
٣- الإسلام كما أومن به . د. عبد الحليم عويس . دار الصحوة للنشر. ١٩٩١م.
٤- بنو أمية بين السقوط والانتحار . د. عبد الحليم عويس . دار الصحوة للنشر. ط١ ، ١٩٨٧م .
٥- التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون . د. عبد الحليم عويس . كتاب الأمة . قطر . السنة ١٥ . العدد ٥٠ . ١٤١٦هـ .
٦- تفسير التاريخ علم إسلامي . د. عبد الحليم عويس . دار الوفاء . ط١، ١٩٩٨م.
٧- التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس . د. عبد الحليم عويس . دار الصحوة للنشر . ط١ ، ١٩٩٤م.
٨- ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة . د. عبد الحليم عويس . دار الصحوة للنشر . ١٩٨١م .
٩- ثوابت ضرورية في فقه الصحوة الإسلامية . د. عبد الحليم عويس . دار الصحوة للنشر ط١ ، ١٩٩٤م .
١٠- ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري . د. عبد الحليم عويس . الزهراء للإعلام العربي . ط٢ ، ١٩٨٨م .
١١- الحضارة الإسلامية : ثوابتها وفضلها على الحضارة الإنسانية . د. عبد الحليم عويس . مكتبة الشروق الدولية . ط١ ، ٢٠٠٩م .
١٢- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية : رؤية حضارية . د. عبد الحليم عويس . مكتبة الشروق الدولية . ط١ ، ٢٠٠٩م .
١٣- دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية . د. عبد الحليم عويس . دون بيانات.
١٤- دولة بني حماد : صفحة رائعة من التاريخ الجزائري . د. عبد الحليم عويس. دار الوفاء . ط٢ ، ١٩٩١م .
١٥- رجل القرآن وصناعة الإنسان (بديع الزمان سعيد النورسي) . د. عبد الحليم عويس . دار النيل . ط١ ، ٢٠٠٩م .
١٦- الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل . د. عبد الحليم عويس . رابطة العالم الإسلامي . العدد ١٢٧ . ١٤٢٣هـ - ١٩٩٣م .
١٧- الشيخ محمد الغزالي: تاريخه وجهوده وآراؤه . د. عبد الحليم عويس. دار القلم . دمشق. د . ت.
١٨- صفحات من جهود المسلمين في الحضارة الهندية . د. عبد الحليم عويس . مطابع الفتح . مصر . ط١ ، ٢٠٠٣م .
١٩- العصبية القومية وأثرها في سقوط الأندلس. د.عبد الحليم عويس.دار الصحوة للنشر.ط١، ١٩٩٤م .

٢٠- العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري . د. عبد الحليم عويس . دار الصحوة للنشر . ط٢ ، ١٩٩٩م .
٢١- الغارة المعاصرة على المسلمين : منطلقاتها وغاياتها . د. عبد الحليم عويس . دار الكلمة للنشر والتوزيع . ط١ ، ٢٠١٠م .
٢٢- في ظلال الرسول ☺ . د. عبد الحليم عويس . دار الاعتصام . ١٩٨٠م.
٢٣- فتح الله كولن إمام النهضة الإسلامية في تركيا المعاصرة . د. عبد الحليم عويس . مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة . ط١، ٢٠١١م .
٢٤- قصص إسلامية . د. عبد الحليم عويس . مطابع دار الكتاب العربي بمصر. ١٩٦١م .
٢٥- قصص من روائع حضارتنا. د. عبد الحليم عويس . دار الكلمة للنشر والتوزيع . ط١، ٢٠١٠م.
٢٦- مجلة الأدب الإسلامي . رابطة الأدب الإسلامي العالمية . العدد ٧٣. ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م .
٢٧- مجلة الأزهر . عدد : صفر ١٤٣٢هـ ، ربيع الأول ١٤٣٢هـ .
٢٨- مجلة التبيان . الجمعية الشرعية الرئيسية . السنة الثامنة . العدد ٩١. صفر ١٤٣٣هـ - يناير ٢٠١٢م .
٢٩- المسلمون في معركة البقاء . د. عبد الحليم عويس . دار الصحوة للنشر ١٩٧٩م .
٣٠- الوحي والعقل والعدل في ميزان الإسلام . د. عبد الحليم عويس . دار الكلمة للنشر والتوزيع . ط١ ، ٢٠١٠م .